

الله جوهر الطبيعة في فلسفة باروخ اسبينوزا

م.م. قائد عباس حمودي

qaid136@uowasit.edu.iq

جامعة واسط/ كلية الآداب

الملخص

يعني هذا البحث الموسوم ((الله جوهر الطبيعة في فلسفة باروخ اسبينوزا)) بفلسفة باروخ اسبينوزا التي تشتمل على فهم عميق للعلاقة بين الله والجوهر والعلم. ووفقاً لاسبينوزا الله هو الوعي والطبيعة الكاملة ، ومن الله ينبثق كل شيء في الكون، والجوهر هو الوسيلة التي يتجلى من خلالها الله، والجوهر ويعتبر رمزاً للوجود الالهي، ويرى اسبينوزا أن الله والجوهر متلازمان ومترابطان، حيث يتجلى الله في الجوهر ليمنحنا الحياة والوجود في هذا العالم. الكلمات المفتاحية: الله ، الامتداد، الفكر، الوجود، الطبيعة.

God is the essence of nature in the philosophy of Baruch Spinoza

M.M. Qaid Abbas Hamoudi

Wasit University\ College of Arts

Abstract

This research, titled ((God is the essence of nature in Spinoza's philosophy)) refers to the philosophy of Baruch Spinoza, which includes a deep understanding of the relationship between God, essence, and science. According to Spinoza, God is consciousness and complete nature, and from God emanates everything in the universe, and essence is the means through which God is manifested, and essence is considered a symbol of divine existence. Spinoza believes that God and essence are inseparable and interconnected, as God is manifested in essence to give us life and existence in this world.

Keywords: God, extension, thought, existence, nature.

المقدمة:

باروخ اسبينوزا هو فيلسوف يهودي ولد ما بين (١٦٣٢ _ ١٦٧٧م) ويعد من أهم الفلاسفة في تاريخ الفكر الغربي، وفلسفة اسبينوزا العقلانية لم تكن منفصلة عن سابقتها من الفلسفات العقلانية التي كان لها اثر واضح وجلي في العصر الحديث. ويعتبر اسبينوزا من اهم فلاسفة العصر الحديث الذي يركز على مفهوم الجوهر وهي المادة التي يتألف منها الكون بأكمله، هو يعتقد ان الله والجوهر واحد والكون وهو مجرد تجلي لجوهر الله. وهو يدعو في فلسفته الى

التأمل في العلاقة الوثيقة بين الله، الجوهر، العالم، وإلى فهم الوجود بأنه يعكس الالهية والجمال والنظام في كل شيء من هذا الكون، والله هو الوحدة الأساسية للوجود والطبيعة.

المطلب الاول: الله

اهتمت الفلسفة في عصرها الحديث بالدين، لأن الدين منطوي تحته انواع المعارف المختلفة، وابرز من ظهر الدين في فكرهم هو الفيلسوف باروخ اسبينوزا الذي كرس كل جهده من اجل دراسة الدين دراسة دقيقة، على اعتبار ان الدين هو ما يميز الانسان عن غيره من الكائنات، واهتمت فلسفة الدين عند اسبينوزا بالبحث في اثبات وجود الله بالادلة والبراهين، وانطلق من فكرته القائلة بوحداية الجوهر وان اصل الوجود يعود إلى جوهر واحد وهو الله. حيث يعرف اسبينوزا الله " هو علة ذاته أي ما تنطوي ما هيته على وجوده وما لا يمكن لطبيعته ان تتصور الاموجود واحد وهو حر بالضرورة اذلي يحدد ذاته بفعله". (كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، صفحة ص ١١١)

ويعرف الله على أنه وجود لا متناهي وجوهر لا متناهي الصفات ولا يتوقف تكوينه على شيء آخر، بمعنى ان الله واجب الوجود ضروري وهو لا يحتاج إلى أي كائن آخر أو جوهر آخر لكي يعرف وجوده به، لأنه هو علة كل شيء ومعلول بذاته. ويضيف اسبينوزا على ذلك ان الجوهر هو علة وجود الله وهذا الجوهر واحد وعلة وجوده في ذاته، وعلى هذا الاساس يطلق اسبينوزا على الله اسم الجوهر، والجوهر هو محدد بذاته ومتصور بذاته، وهو التصور الذي لا يحتاج إلى تصور شيء آخر من مكوناته. (هامبر، ١٩٨٦م، صفحة ص ١١٨) وبهذا يكون اسبينوزا قد ارجع اصل جميع الموجودات إلى الله وهو العلة الفاعلة في الكون وان وجوده مستمد من ذاته أي موجود من العدم، ويعرف كذلك على أنه كائن لا متناهي اطلاقاً وهو جوهر يتألف من عدد لا محدد من الصفات تعبر كل منها عن ماهية ازلية لا متناهية، وإذا كان للانسان صفات يمتلكها فأن تلك الصفات ماهي الا جزء من صفات الله الثابتة، و اسبينوزا لم يميز بين العالم الخارجي والله وهو هنا يذهب إلى القول بوحدة الجوهر. (اسبينوزا ب.، علم الاخلاق، الصفحات ٣١-٣٢)

حيث يمثل اسبينوزا الجوهر بالله والطبيعة ويتصور الكون والطبيعة ذات مظهرين فهي فعالة و حيوية وخالقة من جهة، وهي منفعة مخلوقة من جهة اخرى، والجانب المنفعل هو المادة و ما تشتمل عليه الطبيعة، وهذا كله من انتاج قوة خارقة في الكون وهي الجوهر الخالق والاشياء المخلوقة المتمثلة بالعالم، وجاء اسبينوزا بعدة براهين على وجود الله منها:

البرهان الاول: (برهان الواجب) واجب الوجود وهو ان ماهية الله تتضمن وجوده وان الله ينبغي ان يكون موجود بالضرورة، لأن الوجود كله وهو وجد ذاته بذاته.

البرهان الثاني: (برهان مبدأ عقلانية الطبيعة او العلية) وهو الطبيعة القائمة على العقل بالضرورة، وان كل شيء موجود وراءه سبب، وهذا السبب يكون اما في طبيعة الشيء ذاته او خارجه، وأن وجود الاشياء في العالم الخارجي لها سبب وهو الله، بمعنى هنا ان الله هو العلة الفاعلة في جميع الاشياء. (ابراهيم، ٢٠٠١م، صفحة ٢٠٢)

البرهان الثالث: (برهان القدرة على الوجود) ويستند هذا البرهان على ان الشيء تزداد قدرة على الوجود بقدر ما تزداد قوته، لأن القدرة على الوجود قوة وعدم القدرة على الوجود عجز، وعليه فإن اللامتناهي يجب ان يكون موجود بالضرورة، والله من حيث هو كائن لا متناهي فهو واجب الوجود.

البرهان الرابع: هو ينطلق من نفس فكرة البرهان السابق ويتضمن، اذا كانت القدرة على الوجود قوه فإنه بقدر ما تزداد الاشياء واقعية فإن القدرة تزداد قوتها الذاتية على الوجود وعليه فإن الله موجود بالضرورة. وهذا الدليل يستند إلى وجود شيء متناهي في مقابل كائن كامل لامتناهي ومن خلال هذه البراهين نستنتج ان الله موجود ضروري وهو العلة الفاعلة لجميع الموجودات وهو قديم ازلي والله في رأي اسبينوزا هو العالم وكل ما موجود في داخله. (ابراهيم، ٢٠٠١م، صفحة ٢٠٣) ويتضح مما سبق ان اسبينوزا ارجع اصل العالم إلى الله وقسمها إلى قسمين:

القسم الاول: الله بوصفه الطبيعة الطابعة: وأعتمد اسبينوزا على فكرة الجوهر التي تأثر بها من ارسطو الذي بدوره عرف الجوهر هو "ما لا يستند إلى موضوع ولا يوجد في موضوع". (فخري، ١٩٥٨م، صفحة ٢٥) ويذكر ارسطو ان اصل الكون او الوجود يكمن في علة الوجود بأكمله، والله يشتمل على جميع الجواهر التي تكون سبب في وجود الموجودات، وان كل موجود له سبب يتوقف وجوده عليه، وهي بالاصل تعود إلى جوهرها الثابت والازلي الذي هو الله، وان وجود الجوهر لا يتوقف على انعدام المجودات وهو مستقل عنهم ووجوده يعني واجب الجود. والجوهر في نظر ارسطو هو العلة الفاعلة في الكون، حيث وضع ارسطو للجوهر ثلاث معاني (الهيوhle _ الصورة _ المركب) والمركب من الهيوhle والصورة، والهيوhle هي الجوهر وهي موضوع للصورة وتتعاقب عليها الصور لتكسبها التعيين والتحديد لأنها موضوع غير معين وهي قوه لا تدرك بذاتها وهي بحاجة إلى صورة (كوبلستون، ٢٠١٣م، صفحة ٢٩٨) وأن وجود الكون في نظر اسبينوزا مرهون بوجود الجوهر الثابت الازلي وهو الله وهو العلة الفاعلة في الوجود. والله جوهر كلي مطلق لا متناهي وهو لا يقبل القسمة وهو واحد ازلي ابدى ويتميز بصفة اللامتناهي، وعلى هذا الاساس فإن الطبيعة الطابعة من وجهة نظر اسبينوزا هي متغيرة على اعتبار أن التغير يكون في الاحوال والثبات يكون في الجوهر. (اسبينوزا ب..، علم الاخلاق، صفحة ٢١)

القسم الثاني: الطبيعة المطبوعة او الاحوال: يعتمد اسبينوزا في اثبات وجود الله على فكرة الطبيعة الطابعة والطبيعة المطبوعة، فإذا كانت الطبيعة الطابعة تشير إلى وجود الله المطلق، فإن الطبيعة المطبوعة تمثل جملة من الاحوال والاعراض التي يجري عليها التفاني والزوال، ويعرف اسبينوزا الاحوال بقوله (اعني بالحال هو كل ما طرأ، بعبارة اخرى ما يكون قائماً على شيء غير ذاته، ويتصور شيء غير ذاته). (اسبينوزا ب.، علم الاخلاق، صفحة ٣١) وهذا القول يعني ان الاحوال تكون عاجزة عن ايجاد نفسها بنفسها، وهي تحتاج إلى جوهر ثابت لأيجادها، والاحوال لا يمكن ان تتصور ذاتها بذاتها الا من خلال تصور ذات اخرى تتمثل في الجوهر، والله موجود وهو لامتناهي، ووجود الله الابدي يتمثل في ذاته، ويربط اسبينوزا الطبيعة المطبوعة بالاحوال ويقصد بها ما يطلق على الاشياء الفردية التي نشاهدها في الحياة الاعتيادية وتتجسد الاحوال في الافراد الموجودة في الطبيعة، وهي تبدو في الكون كأنها منفصلة عن بعضها البعض ولكل منها مجال خاص الا انها في حقيقة الامر متوقف وجودها على بعضها البعض فهي مترابطة مع بعضها البعض وتشكل حلقة متواصلة فيما بينها من أجل الوصول إلى الكمال. والكمال هو صفة من صفات الله التي يتميز بها عن بقية الموجودات، وحتى الموجودات الناقصة تسعى لتحقيق نوع من الكمال وهنا يذكر اسبينوزا : لما كان الانسان غير قادر على ادراك هذا النظام بفكرة وكان يتخيل طبيعته البشرية تفوق قدرته بكثير، لا يرى أي مانع من اكتساب طبيعة متماثلة، وهو قد يجد نفسه مدفوعاً إلى تحقيق الكمال فهو خير حقيقي لكل من ساعد على ذلك. (اسبينوزا، ١٩٩٠م، الصفحات ١٣٤-١٣٦)

المطلب الثاني: صفات الله:

الصفة من وجهة نظر اسبينوزا هي ما يدركه العقل في الجوهر على انها ماهيته، والصفة هي ماهية الجوهر او ما يكون بها الجوهر وبدونها لا يكون ولا يمكن تصوره، الصفة هي الجوهر كما يبدو للعقل. (ابراهيم، ٢٠٠١م، صفحة ٢٠٤) وفي نظر اسبينوزا اذا كان الله هو الجوهر الواحد فالصفة هي التي تعبر عن هذا الجوهر ووجودها يعني بالضرورة وجود الله، والله صفاته اللامتناهية فهو خفي لا يظهر للعيان، فتأتي صفات الله اللامتناهية فتظهر للناس فيتبين بذلك وجود الله الضروري ويدركه العقل، والصفة بهذا المعنى هي جوهر ذاته، كما ينكشف من خلال المعرفة، او كما يفكر العقل في الطبيعة، و الجوهر ينكشف لنا من وجهة نظر اسبينوزا على وجهين: الوجه المادي، والوجه الذهني. أي يمكن ان نعرف الجوهر من صفتين الامتداد والفكر وهما الصفتان اللامتناهيتان لله والكون. (زكريا، ٢٠٠٥م، صفحة ٦٣) والامتداد والفكر هما صفات الجوهر ويشتركان في

جوهر واحد هو الله وكل صفة من صفات الجوهر تؤكد على وجود الله. وهاتان الصفتان ليستا منفصلتان، حيث ان صفة الامتداد هي شاملة للكون اجمع، وكذلك الفكر هو كون، وينظر للامتداد من خلال الفكر ولذلك يتوجب على العقل البشري ادراك الجوهر إلا عن طريق صفتين معاً فالله كائن ممتد ومفكر في وقت واحد وإذا اردنا الدقة في التعبير قلنا ان الله ليس ممتداً كسائر الأشياء الفردية بل هو ممتد بذاته أي هو النظام الكلي للمكان، وليس لله فكره معينة كبقية الافكار الفردية بل هو الفكر كله او النظام الكلي للافكار. وان الجوهر يمتلك هذه الصفات بوصفه جوهرًا، وعقلنا يكتشف ذلك لأنه صادق ومستقل، وان الله لامتناه فلا بد ان يكون له عدد لامتناه من الصفات، سواء الفكر او الامتداد وكل صفة من هاتين الصفتين لامتناهية في نوعها لكنها لا متناهية بصفة مطلقة مثل الله. (كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ٢٠١٢م، الصفحات ١١٤-١١٥)

ويقع الكثير في مفهوم خاطئ لفكرة الممتد الذي ينظر اليه على اساس المادة وبهذا يعتقد البعض ان لله صفات متناهية، وكيف يكون له صفات متناهية وهو لامتناهي ازلي، وهكذا يربط الذهن الجوهر اللامتناه بالمادة، وهذه الصفة اللامتناهية لا يرتبط بها الا اللامتناهي، لكن الجوهر الممتد بقدر ما هو جوهر كامل متفوق لا يمكن ان يكون قابل للتأثير، لكن الجوهر الممتد بقدر ما هو قابل للتأثر، حيث ان كل هذه الآراء السابقة تحاول ان تثبت ان الجوهر الممتد لا يتناسب مع الطبيعة الالهية. حيث ان الله هو مغاير للامتداد المنسوب إلى الأشياء الجزئية وهو صفة مطلقة يتصف بها النظام الكلي للأشياء التي يقتضيها الموقف العقلي النابع من نظره علميه وليست صوفية للوجود الواحد، وهذا يعني ان الامتداد ليس مكتسب بالتجديد من الاجسام ولكن الاجسام اجزاء من الامتداد الحقيقي المعقول. (كريم، ٢٠٠٨م، الصفحات ١٦٧-١٦٨)

المطلب الثالث: الله من منظور وحدة الوجود.

يسعى اسبينوزا إلى ادراك الحقيقة الكلية والاتحاد بالطبيعة والظفر بالسعادة الحقيقية فالاحساس بالوحدة الكونية هي نقطة انطلاق اسبينوزا وهدف فلسفته هو تحول هذه الحقيقة الاولى إلى معرفة عقلانية، والعقل يجعل من الممكن معرفة وحدة النفس بالطبيعة الكلية، ومعيار الحقيقة هو الوضوح والانسجام والتميز، ومعيار صحتها مستمد من ذاتها كما هو في البديهي وهو لا بد ان تكون الفكرة الصحيحة مطابقة للموضوع الذي تمثله، وهذا الامر ينتج لنا افكار تامة يحددها اسبينوزا بقوله: "اعني بالفكرة التامة

الفكرة التي اذا ما اعتبرت في ذاتها وبغض النظر عن الموضوع تمتلك الخصائص او العلامات الباطنية المميزة للفكرة الصحيحة". (اسبينوزا ب.، علم الاخلاق، الصفحات ٣٣-٣٥) ويؤكد اسبينوزا انه لا يوجد جوهر آخر سوى الله، لأنه حائز على كل الصفات المطلقة والازلية كما انه وحده الموجود بالضرورة، وهذا يعني ان أي جوهر بجانب الله فهو يجوز على بعض صفات الله. ويرفض اسبينوزا الذين يتصورون الله مجسداً له طول وعرض وشكل، حيث ان الذات المجسدة ترفض هذا التجسيم، لأن التجسيم تحديداً، وبهذا التجسيم يكون الله قابل للتجسيد والحيثية وهذا يخالف صفات المطلق الازلي، ويجعله حادثاً، والبرهان يثبت ان الجوهر مطلق وغير مخلوق، والامتداد احد صفات الجوهر الذي هو الله. وكذلك من طبيعة الضرورة الالهية ان تصور اعداد لامتناهية من الاشياء بطرق لامتناهية، وهذا يعني ان الله الجوهر له صفات لامتناهية كل واحد منها تعبر عن ماهيه ممتدة غير متناهية، والله الذي تصدر منه كل الموجودات المتناهية هو السبب الاول لها وهو العلة الاولى لكل شيء. اضافة إلى ذلك ان الجوهر اللامتناهي الالهي لا يقبل القسمة وهو واحد أزلي يمكن ادراكه عن طريق الامتداد والفكر، اما سائر الصفات الالهية لا نستطيع ان نقول عنها شيئاً لاننا لا نستطيع ان نعرفها حسب قول اسبينوزا. (الحسن، ٢٠١٠م، صفحة ٦٧)

واسبينوزا يقسم الكون إلى جوهر وعرض وإلى الله والعالم المحسوس، اما الجوهر والله فهو حقيقة لا مادة لها، بخلاف عالم الاشياء وهو يقول: "اني اتصور الله والطبيعة في صورة تختلف تماماً عن الصورة التي صورها المسيحيون المتأخرون عادة، لأنني اعتقد ان الله هو الاصل وليس الطارئ، وان الله هو السبب لجميع الاشياء، وان كل شيء كامن في الله، وكل شيء يحيى ويتحرك في الله، واني متفق في هذا مع الرسول بولس، وربما اكون متفقاً مع كل واحد من فلاسفة القدم، على الرغم من ان طريقتي تختلف عن طريقتهم، وقد اجراء على القول ان رأيي هو نفس الرأي الذي جاء به العبرانيون في القدم، على كل حال لقد اخطأ فهمي اولئك الذين يقولون ان غرضي هو ان ابين ان الله والطبيعة شيء واحد". (اسبينوزا ب.، رسالة في اللاهوت والسياسة، ٢٠٠٩م، صفحة ١٢٦)

المطلب الرابع: النفس والجسم:

لفهم علاقة النفس بالجسم او علاقة الجسم بالنفس كما يفهمها اسبينوزا او رؤيته الخالصة لها يجب التذكير بأن الكثير من النظريات الفلسفية حاولت الفصل بين الجسم والنفس باعتبارهما جزئين منفصلين عن بعضهما البعض ولهم عبارات فهم خاصة في ذلك، واسبينوزا يختلف عن هذه النظرية وهو يقول ان الله سبب لذاته وهو لامتناهي مطلق يوجد بذاته ويتصور بذاته وهو لا يتوقف انشاء تصويره على تصور شيء آخر. والانسان يمتلك صفتين غير منفصلتين وهما الامتداد والفكر، حيث الذهن هو من يمثل الفكر والجسم يمثل الامتداد. (وآخرون، ٢٠١٣م، صفحة ١٦) ومن هنا يعتبر اسبينوزا ان الفكر هو من تصور نشأة النفس بوصفها شيئاً مفكراً، اما الجسم فهو اوامر النفس وشهواتها، وان النفس والجسم جوهر واحد، فليس هناك جسم من جهة ونفس من جهة اخرى. وكذلك تنطوي الطبيعة البشرية على الانفعالات وهي تأثرات الجسم التي بها تزداد قوة فعله او تنقص، وكل ما خضعت النفس لبعض انفعالات الجسم فهو يتأثر بها وتزداد قدرته على الفعل او ينقص ومن هنا يطرح اسبينوزا على فهمنا سؤال وهو ماذا يجب ان افعل لكي افوز بالسعادة؟ ويقول: كيف اضمن لنفسي اكبر عدد من الانفعالات المفرحة واقل عدد من الانفعالات المحزنة. (اسبينوزا، ١٩٩٠م، صفحة ١٩)

وأن النفس البشرية هي جزء من عقل الله اللامتناهي، ونفس الشيء يقال عن الجسم، ولمعرفة العلاقة بين النفس والجسم يجب التطرق إلى معرفة الحال. والحال هو الذي يشمل جميع الحركات والافكار ويقصد اسبينوزا بالحال هو ما يطرأ على الجوهر بعبارة اخرى هو ما يكون قائماً في شيء غير ذاته ويتصور بشيء غير ذاته، وذلك من منطلق ان الاشياء الجزئية هي اعراض لصفات الله وبعبارة اخرى هي احوال يعبر بها عن صفات الله بطريقة معينة ومحدودة. وما دام لكل معلول علة فإن علة الاحوال هو الله، وهو العلة الاولى الفاعلة لجميع الاشياء اذ ينتج حتماً عن وجوب الطبيعة الالهية عدد لا محدد من الاشياء وعدد لا محدد من الاحوال أي كل ما يمكن ان يدركه العقل لا محدد كما ان وجود ماهية الحال لا يعني وجوده الواقعي. فما هي الحال موجودة حتى لو لم يكن الحال موجوداً. (اسبينوزا ب.، علم الاخلاق، الصفحات ٥٠-٥٢)

والجسم هو حال في الامتداد، كما ان النفس هي حال في الفكر، وبما ان الانسان يمتلك ماهية فإن نفسه هي ابتداء مكونه مما هو اولي في احوال الفكر والنفس هي فكرة الجسم التي تقابل وجوده ليس من جهة كون الفكر يتحدد بقدراتها التمثيلية، ولكن من جهة كونها قياساً إلى الفكر وكذلك قياساً إلى باقي الافكار، وهناك آلية ذاتية للفكر كما ان هناك آلية للجسم قادرة على

ان تبعث فينا الاستغراب والتعجب، فكل شيء هو جسم ونفس في نفس الان، ونفس الشيء ينطبق على الافكار التي تتكون في ملكتنا وليس فقط الافكار التي نكونها نحن، اذ ان الفكرة التي نحن لا نحققها بشكل مباشر وهي في الاله من حيث هو منفعل بما لايتناها من الافكار الاخرى، اما ما نملكه فهو فكر ما يقع لجسمنا وهو انفعالات جسمنا، وبهذه الافكار فقط نتمكن مباشرة من ادراك جسمنا وباقي الاجسام، وهناك إذاً تناسب بين انفعالات الجسم والافكار في النفس هي ما به تتمثل هذه الافكار وتلك الانفعالات. (دولوز، ٢٠١٥م، صفحة ٤٨)

ويذكر اسبينوزا ان الروح الانسانية في الحقيقة هي الفكرة الانسانية نفسها، وهذا يعني لا وجود للنفس كجوهر مستقل بذاته يباين الجسم من حيث الطبيعة ومن حيث الافعال والوظائف وانما هي مستوى آخر للجسم، والسبب هو من غير الممكن وجو جوهران في الوجود، فالله هو الجوهر الوحيد الذي يظهر في صفتي الفكر والامتداد، وهما بدورهما يتجليان في اشكال الوجود الكثيرة. وان الفعل و النفس هما صورة للفكر وهو الذي يقوم بعملية التوازن، ومن هنا يوضح اسبينوزا بأن العملية التي يقوم بها العقل والجسم عملية موحدة ومتوازنة، ولا يمكن ان يكون هناك عمليتين مستقلتين للوجود الواحد. (عويضة، ١٩٩٣م، الصفحات ١٠٧-١٠٨)

والانسان هو احد متغيرات الجوهر الالهي وهو يشترك في صفتي الامتداد والفكر وهو لا نهاية له في صفات الجوهر وما عقولنا واجسامنا الا شذرتين من وجودنا الهائل الانساني. والفكر الانساني يتمتع بالعقل وليس بين الجسم والعقل تفاعل او تبادل بل هناك توازن تام بينهم فلا يحدث شيء في العقل دون ان يسجله الجسم ولا يحدث شيء في الجسم دون ان يسجله العقل، وما يحدث في الجسم من تغيرات هو ناتج عن اسباب فيزيائية محضة والتغيرات في العقل تتم بواسطة تغيرات فيزيائية محضة. (بدوي، ١٩٨٤م، الصفحات ١٤٠-١٤١) والنفس حسب فكر اسبينوزا بمقدورها ان تتأمل ذاتها وان تتخلص من الافكار الخاطئة وتكون عن ذاتها وعن الجسد افكار صحيحة تقوم على المبادئ العقلية التي تمكنها ان تكشف لنا ماهية الاشياء كما هي في الواقع بعيدة عن الخيال. واسبينوزا يضع الانفعالات في صف الافكار الغير مناسبة التي تقود الذات إلى الاخطاء وتضعف رغبتها في الوجود. والانفعالات هي ما نشعر به نتيجة تأثر الجسم بالعوامل الخارجية، وهو ما تستقبله النفس من متغيرات الجسم. واسبينوزا في تحليله للذات الانسانية يفضل الاحساس بالفرح عن الاحساس بالحزن حتى لو كان في نظر اسبينوزا الفرح والحزن متساويان، ففي كليهما ينصب احساس الذات على موضوع خارجي، ومنه احساسها به صادقاً ويقينياً، في حين ان الامر على عكس لك، فهي تتوهم فقط لانها تتجه إلى موضوعات غير ثابتة ومتغيرة باستمرار وفانية. (اسبينوزا ب.، علم الاخلاق، صفحة ١٥٩)

ويخالف اسبينوزا سابقه في موضوع النفس فهي عنده ليست جوهرًا ولا حاويه ولا مالكة وهي فكرة الجسد ، وان مصطلح النفس لا يعني شيئاً سوى الادراك وهي التصور الذي يقوم به الانسان عن جسده او عن العالم الخارجي، والفكرة تعرف كتصور تشكلها النفس لانها شيء مفكر، والعلاقة بين النفس والجسم تصبح عند اسبينوزا علاقة شيء بنفسه وما دامت النفس البشرية متحدة بالجسم بحيث ان موضوع الفكرة المؤلفة للنفس البشرية هو الجسم أي هي حال موجود بالفعل من احوال الامتداد لا غير، وعلى هذا الاساس فإن ما نعتبره نحن يمكن ان نعتبره جسد والعكس صحيح فليس هناك فعل حقيقي بينهما لهذا ذكر اسبينوزا ان فكرة الجسم والنفس هما شيء واحد لا غير متصور من جهة صفة الفكر ومن جهة اخرى صفة الامتداد وان وجود فكرة النفس ووجود النفس ذاتها ينتجان عن الله بنفس ضرورة قوة التفكير وذلك فإن فكرة النفس لا تعدو ان تكون في الواقع صورة الفكر. (اسبينوزا ب.، علم الاخلاق، الصفحات ٩٤-٩٥) والمعرفة من وجهة نظر اسبينوزا ليست فعلاً للذات بل هي اثبات لفكره في الروح وهو يذكر ليس نحن من يثبت او ينفي أي شيء عن أي شيء ولكن الاشياء هي التي تنفي او تثبت شيئاً عن ذاتها فينا. واسبينوزا يرفض كل تحليل للمعرفة يميز بين عنصري الفهم والارادة، فالمعرفة هي اثبات الفكرة لذاتها. (دولوز، ٢٠١٥م، صفحة ٧٢)

المطلب الخامس: الطبيعة او العالم:

في فلسفة اسبينوزا الطبيعة تعتبر جزءاً من اللاهوت الواحد وهي تعبر عن الله نفسه، ويعتبر اسبينوزا الطبيعة واحدة مع الله، وهي تتجلى كجميع الاشياء التي نراها ونشعر بها من حولنا، والطبيعة بالنسبة له ليست مجرد مجموعة من الظواهر الطبيعية، بل هي جزء من الكون الواحد الذي يشمل الجسم والعقل و الروح. واسبينوزا يمثل الجوهر بالطبيعة والله وهو يتصور الطبيعة او الكون ذات مظهرين فهي فعالة حيوية خالقة من جهة وهي منفعة مخلوقة من جهة اخرى، ويأخذ اسبينوزا معنى الطبيعة بصورة خاصة بعيدة كل البعد عن المنظور العامي او النظرة التي يتصورها المسيحيون في عصره. (رايت، ٢٠١٦م، صفحة ١٢٢) ويقول اسبينوزا في هذا الصدد: "اني اتصور الله والطبيعة في صورة مختلفة تماماً عن الصورة التي يتصورها المسيحيون المتأخرون عادة لانني اعتقد ان الله هو الاصل وليس الطارئ وان الله هو السبب لجميع الاشياء، اقول ان كل شيء كامن في الله وكل شيء يحيى ويتحرك في الله وانني متفق في هذه مع الرسول بولس على كل حال لقد اخطأ فهمي اولئك الذين يقولون ان

غرضي هو ان ابين الله والطبيعة شيء واحد" (عويضة، ١٩٩٣م، صفحة ١٠٢)

وتتضح فكرة الطبيعة عند اسبينوزا التي لا يقصد بها الطبيعة المتغيرة ولا الاحوال النهائية بل هو يقصد بالطبيعة الالهية التي يتحكم بها سائر الموجودات، والطبيعة المخلوقة هي من نتاج الله، واسبينوزا لم يكن يريد اثبات الوجود او وحدة الوجود على الطريقة الصوفية القديمة بل كان

دائماً صاحب لغة علمية وطابع علمي ولا يمكن اضعاء صيغة التصوف والصوفية الميتافيزيقية، بل كانت فلسفته لاهوتية صوفية علمية وهذا ما يوضحه من خلال الاجابة على كل من اخطأ فهمه وتفسيره لمفهوم الطبيعة على انها المادة المجسدة، فماهية الطبيعة وموقعها في نسق اسبينوزا محوريه وبالتالي اقتصر منهجه على توجيه العقل نحو الفكرة الاغنى والاكثر واقعية. وفي رؤية اسبينوزا للطبيعة هو تعبير عن الاسطورة الكونية والالهية وهي تظهر تحت شكل الطبيعة والجمال والتنظيم الذي نراه حولنا، اذ يعتبر ان الله والطبيعة واحد، والطبيعة تعكس النظام والعدالة والجمال الذي خلقها الله. (زكريا، ٢٠٠٥م، صفحة ١٠٩)

و الطبيعة عند اسبينوزا هي الفعل الضروري او النظام الذي يحرك الاشياء، وهي المجموع الشامل لأجزاء كثيرة والجامع للموجودات جميعاً في اطار كلي عام وكأنها وعاء وجودي تقاس عليه كل الاشياء والمبدأ الذي تتسلسل في نظامه الاشياء والقوانين التي تتوقف ورائه الظواهر فتقيد حركتها وسيرها في دورات ثابتة. والطبيعة هي الصفات اللانهائية التي تتصف بالكمال لا بأعراض العالم المحسوس، ومما سبق تيقن ان الطبيعة وحدة ينظم اليه وبه كل الاشياء الجزئية وان اختلاف الاشياء في الطبيعة وتباين احوالها، لا يفيد تماماً ان حقيقة الطبيعة هي كذلك، بل هي شتات يجمعه جوهر لانهائي وهو الله الذي هو سلسلة العلل التي تنظم الاشياء في تناسق وانسجام ابديين. (ابراهيم، ٢٠٠١م، صفحة ٢٠١) والله بالنسبة للعالم كقوانين الدوائر بالنسبة للدوائر كلها، فالله هو السلسلة السببية الكامنة وراء كل الاشياء، وهو قانون تركيب العالم، والطبيعة هي تلك القوانين الثابتة التي تدير العالم وفقاً لأرادة الله، وهي ليست امتداد للمادة فقط ولا هي قائمة على عبث بل هي تدير وفق قوانين الية تشبه الرياضيات والميكانيك وتشتمل على الامتداد والفكر، ويذهب اسبينوزا في توضيح ما سبق بقوله ان الله هو السبب الجوهرى لكل الاشياء. (كريم، ٢٠٠٨م، صفحة ١٥١) ان أسبينوزا لا يؤمن بالغائية الطبيعية وهي عنده تدير بشكل ضروري آلي، اذا فما يعتقد على انه غايات للأشياء، هو في جوهره لا يعدو ان يكون مجرد انطباعات بشرية تريد رؤية الاشياء على انها مجهولة للبشر وان الانسان مركزها غير ان الصورة الطبيعية عند اسبينوزا وحركتها الضرورية النابعة من طبيعتها الطابعة تقصي القول بالغائية. (عويضة، ١٩٩٣م، صفحة ١٠٩) وهذا التصور الناتج عن مبدأ الغائية يضعنا حسب تصور اسبينوزا خارج حقيقة الله على اعتبار ان حقيقته ازلية لا يمكن تفسيرها زمانياً، فالزمن عامل نفي وسلب يخلع عن الله صفته اللامتناهية واللامحدودة، وهي كلها صفات ايجابية تصنع قدرة الله على الوجود الواجب او الضروري، والله لا زمن له بمعنى انه غير قابل للتجزئة، ماضي وحاضر ومستقبل وزمنه غير رياضي، ففي الله تجتمع الازمنة الثلاثة انه الكل ومن التناقض ان نقول ان الله سابق او لاحق، وهو ليس ماضي او مستقبل وخارج الزمن الرياضي، وعلى هذا الاساس من السذاجة ان نفصل بين الله والطبيعة، والله هو الطبيعة

والطبيعة توجد في الله، وليس كشيء مماثل لله أو بمعنى أن الله اوجد العالم على صورته، وهناك رابط بينهما يجعل الله علة العالم من جهة، ومن جهة اخرى لا يمكن تصور الله خارج نظام الطبيعة او فوقه، فهو لا يفهم الا داخل سلسلة لا متناهية من الاسباب والعلل التي هي الطبيعة ذاتها. والطبيعة هي مجموعة من القوانين الفيزيائية التي تحكم حدوث الاشياء بما فيها الانسان باعتباره حاله من الاحوال. اضافة الى ذلك يعتبر اسبينوزا الطبيعة مصدراً للكلمة والمعرفة وهو يشجع على دراسة الطبيعة وفهمها كوسيلة للوصول الى الحقيقة الاساسية للوجود، وهو يرى ان فهم الطبيعة ممكن ان يساعدنا في فهم انفسنا وعلاقتنا مع العالم من حولنا. (اسبينوزا ب،، علم الاخلاق، الصفحات ٣١-٣٢)

النتائج:

من خلال دراستنا لفلسفة باروخ اسبينوزا، تبين لنا ما يأتي:

- ١- الله هو الوحدة الاساسية للوجود والطبيعة، وهو الموجود الوحيد الذي يستحق الاجلال والتقدير.
- ٢- الله هو الوعي الطبيعي والكوني، وهو يتجلى في كل شيء في الكون.
- ٣- الله ليس كائن خارج يحكم العالم من بعيد، بل هو الوجود الاساسي الذي يتجلى في كل شيء ويشكل جوهر الطبيعة والوجود، والله والطبيعة والكون جميعها جوانب مختلفة لنفس الوجود الالهي.
- ٤- ان الفهم الصحيح لله هو التفكير العميق والتأمل في الكون، والله هو الوجود الكامل والشامل الذي يتجلى في كل شيء في الكون.
- ٥- يعتبر اسبينوزا ان الوجود كونياً ولا يمكن تجزئته او تقسيمه، وهو يعتبره الوجود الفعلي الابدي الذي يشكل الوجود الموجود في هذا العالم.
- ٦- في فلسفة اسبينوزا ان الجوهر الحقيقي هو الله نفسه وهو الوجود العاري عن كل الصفات والاشكال والتقسيمات، والجوهر هو الوجود اللازم والمظهر الشامل لكل شيء في الكون، وهو الذي يتجلى في العالم من حولنا.
- ٧- الجوهر في فلسفة اسبينوزا هو الوجود الواحد الذي يتجسد في الكون بأكمله ويشكل كل شيء في الطبيعة.
- ٨- الجوهر يمثل الوجود الاساسي والحقيقي الذي يتجلى في الكون، ويعتبر الوجود الازلي والشامل الذي يشمل كل شيء ويحدد لها جوهرها الحقيقي.
- ٩- الطبيعة هي جزء اساسي من الوجود الالهي والوعي الكوني الذي يشكل الكون بأسره.
- ١٠- الطبيعة هي مظهر من مظاهر الله وتجلي الارادة الالهية، وان كل شيء في الطبيعة يحمل بصمة الله وعبرة عن تجسيد للإرادة الالهية.

- ١١- الطبيعة لا تكون محكومة بقوانين طبيعية فقط، بل تحمل في طبيعتها العميقة الجوانب الروحية والدينية التي تشير إلى الوجود الالهي الكامل.
- ١٢- الطبيعة تعتبر تجسيدا للارادة الالهية وهي تعكس الجمال والروحانية والنظام الذي يشير إلى الوجود الالهي الكامل في الكون.

المراجع

- ابراهيم مصطفى ابراهيم. (٢٠٠١م). *الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم*. دار الوفاء للطباعة والنشر.
- اسبينوزا. (١٩٩٠م). *رسالة في اصلاح العقل*. تونس: دار الجنوب للنشر.
- باروخ اسبينوزا. (٢٠٠٩م). *رسالة في اللاهوت والسياسة*. القاهرة: مكتبة انجلو المصرية.
- باروخ اسبينوزا. (بلا تاريخ). *علم الاخلاق*. تونس: دار النشر والتوزيع .
- بدران بن الحسن. (العدد ١٠, ٢٠١٠م). *فلسفة وحدة الوجود بين ابن عربي واسبينوزا*. مجلة *حوليات التراث*.
- جيل دولوز. (٢٠١٥م). *اسبينوزا فلسفة عملية*. البيضاء: دار توفال للنشر.
- زيد عباس كريم. (٢٠٠٨م). *اسبينوزا الفلسفة الاخلاقية*. مصر: دار التنوير للطباعة والنشر.
- ستيورات هامبر. (١٩٨٦م). *عصر العقل القرن السابع عشر*. سوريا: الحوار للنشر والتوزيع.
- سمير بلكفيش وآخرون. (٢٠١٣م). *الفلسفة الاخلاقية من المعنى إلى مأزق الاجراء*. الجزائر: دار الرباط.
- عبد الرحمن بدوي. (١٩٨٤م). *موسوعة الفلسفة ج ١*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- فردريك كوبلستون. (٢٠١٣م). *تاريخ الفلسفة من ديكارت إلى ليبنتز*. المركز القومي للترجمة.
- فؤاد زكريا. (٢٠٠٥م). *اسبينوزا*. بيروت : دار التنوير للطباعة.
- كامل محمد محمود عويضة. (١٩٩٣م). *باروخ اسبينوزا فيلسوف المنطق الجديد*. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ماجد فخري. (١٩٥٨م). *ارسطو طاليس*. بيروت: المطبعة الكاثوليكية.
- وليم كلي رايت. (٢٠١٦م). *تاريخ الفلسفة الحديثة*. بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.
- يوسف كرم. (٢٠١٢م). *تاريخ الفلسفة الحديثة*. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- يوسف كرم. (بلا تاريخ). *تاريخ الفلسفة الحديثة*. القاهرة: دار المعارف.

the reviewer

- Ibrahim Mustafa Ibrahim. (2001AD). Modern philosophy from Descartes to Hume. Dar Al Wafaa for Printing and Publishing.
- Espinoza. (1990AD). A message on reforming the mind. Tunisia: South Publishing House.
- Baruch Spinoza. (2009AD). A treatise on theology and politics. Cairo: Anglo Egyptian Library.
- Baruch Spinoza. (no date). Ethics. Tunisia: Publishing and Distribution House.
- Badran bin Al-Hassan. (Issue 10, 2010 AD). The philosophy of pantheism between Ibn Arabi and Spinoza. Heritage Annals Magazine.
- Gilles Deleuze. (2015). Spinoza's practical philosophy. Al-Bayda: Toyfal Publishing House.
- Zaid Abbas Karim. (2008AD). Spinoza's moral philosophy. Egypt: Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing.
- Stuart Humber. (1986AD). Age of reason seventeenth century. Syria: Al-Hiwar Publishing and Distribution.
- Samir Belkev et al. (2013AD). Moral philosophy from meaning to the dilemma of procedure. Algeria: Dar Rabat.
- Abdul Rahman Badawi. (1984AD). Encyclopedia of Philosophy, Part 1. Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing.
- Frederick Copleston. (2013AD). History of philosophy from Descartes to Leibniz. National Center for Translation.
- Fouad Zakaria. (2005AD). Espinoza. Beirut: Dar Al-Tanweer Printing.
- Kamel Muhammad Mahmoud Awaida. (1993AD). Baruch Spinoza, New Logic Philosopher. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Majed Fakhry. (1958 AD). Aristotle Thales. Beirut: Catholic Press.
- William Clay Wright. (2016AD). History of modern philosophy. Beirut: Dar Al-Tanweer for printing, publishing and distribution.
- Youssef Karam. (2012AD). History of modern philosophy. Cairo: Hindawi Foundation for Education and Culture.

Youssef Karam. (no date). History of modern philosophy. Cairo: Dar Al-Maaref.